الفصل السادس

الأطفال المولودون بواسطة التقنيات المساعدة على الإنجاب: هل هم أطفال طبيعيون؟

ART Babies: Are they Normal?

أحد أهم الأسئلة والمخاوف التي تدور في أذهان أي زوجين يخضعان للعلاج باستخدام إحدى التقنيات المساعدة على الإنجاب هو: هل الأطفال المولودون بهذه الطريقة أطفال طبيعيون؟ وهل هناك مخاطر جراء استخدامها؟ لقد مرّ ٣٠ عامًا على ولادة أول طفل بواسطة هذه التقنيات ومنذ ذلك الوقت تم ولادة أكثر من مليوني طفل بواسطة التقنيات المساعدة على الإنجاب. فلو كان هناك أيّ مشكلة أو خطر من أي نوع بسبب استخدام هذه التقنيات لعلمنا بها اليوم ولأقيمت الدعاوى القضائية في المحاكم تطالب بمنع استخدامها للأزواج الذين لا يستطيعون الإنجاب. فحقيقة أنه لم يثبت طوال ٣٠ عامًا ضرر استخدام هذه التقنيات لهو دليل قاطع على أنها سليمة ولا ينتج عنها أي آثار جانبية خطيرة لهؤلاء الأطفال. وقد يكون الأثر السلبي الوحيد لها هو أن الطفل الذكر قد يعاني من ضعف

في الخصوبة مثل أبيه، فعلى سبيل المثال إذا كان الأب يعاني من نقص في عدد الحيوانات المنوية فإن ذلك سيظهر أيضًا في الابن. وتدل البيانات الإحصائية العلمية أن الكروموسومات الصادية الذكرية تنتقل من الأب إلى الابن، فالصفات الوراثية التي يحملها الابن نسخة من الصفات الوراثية التي يحملها الأب ونتيجة لذلك فإن الابن سيعاني من نقص في عدد الحيوانات المنوية. ولا يمكن أن تساهم الصفات الوراثية للبويضة في تحسين ضعف الخصوبة لدى الطفل أثناء فترة عملية التخصيب. وقد لوحظ بصفة عامة أن نسبة العيوب الخلقية التي تصيب الأطفال المولودين بواسطة التقنيات المساعدة على الإنجاب مماثلة لتلك النسبة التي تصيب الأطفال المولودين بطريقة طبيعية.

إلا أن الحمل بواسطة إحدى التقنيات المساعدة على الإنجاب يزيد من بعض المخاطر مثل ولادة طفل خديج أو ارتفاع نسبة الوفيات في المواليد أو انخفاض وزن الطفل؛ وقد يعود سبب انخفاض وزن الطفل عن الحدّ الطبيعي إلى الحمل بتوأم أو أكثر. ونتيجة لذلك فإن العديد من الدّول المتقدّمة لا تُجيز إعادة أكثر من جنينين إلى رحم الأم. فقد أظهرت التجارب السابقة لمن خضعن لهذه التقنيات أن المشكلات التي تصاحب الحمل بتوأم أو أكثر هي السبب الرئيسي لتعرض المواليد لمضاعفات تهدد حياتهم وصحتهم. ومراكز التقنيات المساعدة على الإنجاب في دول الاتّحاد الأوربّيّ اليوم لا تسمح بنقل أكثر من جنين واحد إلى رحم الأم بدلاً من اثنين أو ثلاثة لتجنب مخاطر الحمل بتوأم أو أكثر.

ومن خلال خبرة المؤلف فإنه يرى أن الأطفال المولودين بطريقة التقنيات المساعدة على الإنجاب لديهم حب الفضول والحديث وهم أكثر نشاطًا وذكاءً من نظرائهم الأطفال المولودين بطريقة طبيعية، وهذا بطبيعة الحال مدعاة لفخر الأبوين أن يكون لدى طفلهم قدرات تفوق المعدل الطبيعي مما يجعلنا نتساءل عن السبب؟

ليس كافيًا أن نقول إن الآثار الجانبية التي تظهر بعد العلاج بواسطة التقنيات المساعدة على الإنجاب مماثلة لتلك التي نراها في الأطفال بشكل عام. دعونا ننظر بعمق وبتفصيل أكثر للبيانات والدراسات التي أُجريت خلال الثلاثة عقود الماضية عن أطفال التقنيات المساعدة على الإنجاب.

العيوب الخلقيّة في أطفال التقنيات المساعدة على الإنجاب

لم تستطع العديد من الدراسات العلميّة الكبيرة أن تثبت العلاقة بين العلاج باستخدام التقنيات المساعدة على الإنجاب والعيوب أو التشوهات الخلقيّة. فقد أظهرت بعض الدراسات أن العيوب الخلقيّة التي تصيب الأطفال المولودين بواسطة التقنيات المساعدة على الإنجاب مماثلة لتلك النسبة التي تصيب الأطفال المولودين بطريقة طبيعية. إلا أن دراسات أُخرى تؤكد ارتفاع نسبة العيوب الخلقيّة لدى أطفال التقنيات المساعدة على الإنجاب، وقد يُعزى ذلك إلى ارتفاع نسبة مواليد الأطفال الخُدّج. فهم يرون أن العامل المسبب للعيوب الخلقيّة هو الولادة المبكرة. ولكن وقبل كل شيء لابد أن نضع في عين الاعتبار أن معظم النّساء اللّاتي يبحثن عن العلاج

بواسطة التقنيات المساعدة على الإنجاب لسن صغيرات السنّ. فالحقيقة المعروفة هي أن كبر سن الأم عند حدوث الحمل من أهم أسباب حدوث هذه العيوب الخلقية. لذا ليس من الواضح إن كان الارتفاع الطفيف في نسبة العيوب الخلقية لدى مواليد التقنيات المساعدة على الإنجاب متعلّقًا بتقدم سنّ الأمهات إلا أن الوسط العلمي بصفة عامة يرى أنه لا يجب القلق حيال هذا الأمر حيث إن نسبة العيوب أو التشوهات تكاد لا تُذكر.

أثر التقنيات المساعدة على الإنجاب على النّموّ العقليّ والنّفسيّ الحركيّ

تعني كلمة "motor" القدرة على التحكم في النشاط الحركي. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن التقنيات المساعدة على الإنجاب ليست لها آثار عكسية أو سلبية على النّموّ العقليّ والنّفسيّ الحركيّ مما يدعو للطمأنينة وعدم القلق لمن أنجب أو سيُنجب بواسطة هذه التقنيات. فالتعلم ومستوى الذكاء والمهارات الإدراكية والتناسق البصري الحركي وهو القدرة على التنسيق بين المعلومات البصرية وحركة الأجزاء المختلفة للجسم والذاكرة البصرية وتعني القدرة على تذكر ما سبق رؤيته في شكل صور ذهنية.... الخ تبدو جميعها لدى أطفال التقنيات المساعدة على الإنجاب طبيعية جدًا بل إنهم قد يفوقون أقرانهم الذين ولدوا بشكل طبيعي كما تشير الإحصاءات العالمية. وقد اكتشف الباحثون أن أطفال التقنيات المساعدة على الإنجاب ينتمون إلى أُسر متعلمة وذات دخل عال والتي ربما ساهمت بجانب تحفيز الآباء لأبنائهم في تفوقهم فيما يتعلق بمهارات الذكاء والمهارات الحسية

الحركية. وقد أظهرت دراسة أن آباء هؤلاء الفئة من الأطفال هم أكثر تـوددًا وطلاقة مع أبنائهم مما يقود إلى التفاعل الإيجابي بـين الأب والابـن وبالتـالي يُعزز من تنمية المهارات المختلفة لديهم بشكل إيجابي. ويتسـم هـؤلاء الآبـاء أيضًا بحمايتهم الزائدة ورعايتهم المفرطة لأبنائهم. وأوضحت دراسـة أخـرى أن أطفال التقنيات المساعدة على الإنجاب أقـلّ عرضـة للإصـابة بالسـرطان مقارنة بغيرهم من الأطفال. بينما أظهرت دراسة واحدة فقط أن مثل هـؤلاء الأطفـال إذا كـانوا مولـودين لآبـاء متقـدمين في العمـر فهـم أكثـر عرضـة للاضطراب النفسي والعاطفي، إلا أن هذه النسبة تكـاد لا تُـذكر ولا يمكـن تعميمها على هذه الفئة من الأطفال. وعلى أية حال فإن معظم الدراسات لم تجد فرقًا بين أطفال التقنيات المسـاعدة علـى الإنجـاب والأطفـال المولـودين بطريقة طبيعية فيما يتعلق بخطر الإصابة بالاضطراب النفسي. ويتطلب الأمر هنا إجراء دراسة واسـعة النطـاق لقيـاس أثـر العـلاج باسـتخدام التقنيـات المساعدة على الإنجاب على الصحة النفسية لهؤلاء الأطفال.

أطفال التقنيات المساعدة على الإنجاب المولودين من أجنّة مذابة بعد التجميد

لا يوجد اختلاف بين أطفال ولدوا من أجنة جديدة وبين أطفال ولدوا من أجنّة مذابة بعـد التجميـد إلا العديـد مـن الدراسـات أظهـرت أن عـدد المواليد من أجنّة مجمدة أقلّ من عدد المواليد من أجنّة جديدة، غـير أن ذلـك لا يُعدّ شيئًا يذكر، فمعظم المراكز في العالم التي تقوم بتجميد الأجنّة أوضحت أنه لا ضرر منها وإلا لما أصبحت رائجة. وقـد أُجريـت أبحـاث علـى فئـران

مولودة من أجنّة مجمدة ولوحظ تغير في السلوك، إلا أنه لابدّ من عمل أبحاث أكبر على الإنسان للتّحقّق من التّأثيرات السّلبيّة الممكنة على الأطفال المولودين من أجنّة مجمدة.

وأخيرًا فإن خطر ولادة طفل مشوه أو به عيب خلقي بسبب العلاج باستخدام التقنيات المساعدة على الإنجاب يُعدّ ضئيلاً لمن أراد الإنجاب في سنّ مبكرة ولمعظم من تجاوز سنّ ٣٥.

obeikandl.com